الي شفا جرف هار الي ان يضطره الي البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد
السنتهم ولا ينجي من شره الا ان يقيد بلجام الشرع وعلم اطلاق اللسان فيه او بذم
غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير لكن على من يسره الله يسير انتهي
قوله ورويناه في كتاب الترمذي قال المنذري ورواه البيهقي قوله وقسوة
القلب اي سبب للقسوة ففيه الاخبار بها مبالغة وهي غلظه وحينئذ يجفى عن
قبول ذكر الله تعالى والتاثر بالمواعظ قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر
الله اخرج الحاكم اطلبوا المعروف من رحماء امتي تعيشوا في اكنافهم ولا تطلبوه
من القاسية قلوبهم فان اللعنة تنزل عليهم واخرج الخرايطي في مكارم
الاخلاق نحوه وفي اخره ولا تطلبوا من القاسية قلوبهم فانهم ينتظرون وفي
مسند البزار عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الشقا
جمود العين وقسا القلب وطول الامل والحرص على الدنيا ولما تظمنه الاحاديث
من اللعنة والسخط وكونه من الشقا قال بعضهم قسوة القلب من الكباير
وقيده ابن حجر في الزواجر اذا كانت بحيث تحمل على منع الطعام المضطر مثلا انتهى
قوله وان ابعد الناس من الله اي من رحمته ورضاه وشهوده واوليائه قوله القلب
القاسي اي صاحبه لانه عري من خوف الله تعالى ورجائه ومحبته وامتلا بمحبة
الاغيار واستانس بمحادثة الاشرار وعبر بالقلب عن الشخص لانه اشرف ما فيه فيكون
مجازا مرسلا او انه على تقدير المضاف فيكون من مجاز الحذف قوله وروينا
فيه الخ قال في الجامع الصغير واخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك
كلهم من حديث ابي هريرة وقد تقدم في الكلام على حديث البخاري من يضمن لي
ما بين لحييه الخ من حديث عمار بن ياسر اخرجه مالك في الموطا وهو شاهد
لهذا الحديث ايضا وفي الترغيب للمنذري اخرجه ابن ابي الدنيا الا انه
قال من حفظ ما بين لحييه واحاديث اخر في الباب تقدمت ثمه قوله
من وقاه الله شر ما بين لحييه الخ قال ابن عبد البر معلوم انه اراد بقوله ما بين
لحييه اللسان وما بين رجليه الفرج قال وفي الحديث من الفقه ان الكباير اكثر
ما تكون والله اعلم من الفرج والفم وقد وجدنا الكفر وشرب الخمر واكل الربا وقذف
المحصنات واكل اموال الناس ظلما من الفم واللسان ووجدنا الزنا من الفرج
واحسب ان المراد من الحديث او من اتقى لسانه وما ياتي منه من القذف والغيبة
والشتم كان احرى ان يتقي القلب ومن اتقى اكل الربى لم يعمل به لان البغية
من العمل به التصرف في اكله فهذا وجه في تخصيص الجارحتين في الحديث
وضمان الجنة لمن وقي شره ويحتمل ان ذلك خطاب منه صلى الله عليه وسلم لقوم
بلغ بهم اتقا عليهم من اللسان والفرج ما لم يتق عليهم من ساير الجوارح ويحتمل
ايضا ان يكون قبل قوله ذلك كلام لم يسمعه الناقل كانه قال من عافاه الله
ووقاه كذا وكذا وشر ما بين لحييه ورجليه دخل الجنة فسمع الناقل بعض الحديث

ولم يسمع

ولم يسمع بعضه فنقل ما سمع وانما احتجنا الي هذه الاحتمالات للاجماع الامة ان
من احصن فرجه عن الزنا ومنع لسانه عن كل سوء ولم يتق ما سوى ذلك من القتل
والظلم انه لا يضمن له الجنة بل ان مات كذلك ولم يتب تحت مشية الله ان شا عذبه
وان شا غفر له ان مات على الاسلام ثم قال ابن عبد البر بعد ذكر عدة احاديث
فيها جملة من الكباير فمن وقاه الله الكباير وعصمه منها ضمنت له الجنة ما ادى
فرايضه فمن مات كذلك ثم زحزح عن النار وادخل الجنة كان مضمون ذلك
ومن اتى كبيرة من الكباير ثم تاب منها توبة صحيحة كان كمن لم ياتها ومن اتى كبيرة
ومات مصرا على غير توبة فامره الى الله ان شا عذبه وان شا غفر له انتهى بتلخيص
قوله ورويناه فيه اي في كتاب الترمذي قال المنذري ورواه ابن ابي
الدنيا في العزلة وفي الصمت ورواه البيهقي في كتاب الزهد كلهم عن ابي
امامة عن عقبة انتهى وفي المرقاة ورواه احمد وروى ابن قانع والطبراني عن
الحارث بن هشام املك عليك لسانك انتهى وهذا شاهد لصدر الحديث والحديث
شاهد من حديث ثوبان رضي الله عنه قال طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته
وبكى على خطيئته رواه الطبراني في الاوسط والصغير باسناد حسن قوله امسك
عليك لسانك هكذا هو في نسخ الاذكار بالسين المهملة قال الشيخ زكريا في شرح الرسالة
رواه الترمذي بلفظ امسك انتهى اي لا تطلقه الا فيما ينفعك وفي المصابيح
املك بالامر وكذا في الجامع الصغير قال العاقولي اي لا تجريه الا بما يكون لك لا
عليك قلت واصله في النهاية وهو حاصل المعنى واصل معناه كما في المرقاة
امسك عليك لسانك حافظا عليك امورك مراعيا لاحوالك ففيه نوع من التضمين
وعن بعضهم اي اجعل لسانك مملوكا لك فيما عليك وباله وتبعته فامسكه عما
يضرك واطلقه فيما ينفعك وهو ناظر الى ان الصيغة من الثلاثي المجرد ففي القاموس
ملكه يملكه ملكا مثلثة احتواه قادرا على الاستبداد واملكه الشي وملكه اياه
تمليكا بمعنى انتهى لكن في النسخ المصححة والاصول المعتمدة بفتح الهمزة وكسر اللام
من المزيد ولعل الاتيان به من المزيد لزيادة المبالغة في المتعدية انتهى قال
العاقولي والطيبي هو من الاسلوب الحكيم سيل عن حقيقة النجاة فاجاب
عن سببه لانه اهم وكان الظاهر ان يقول حفظ اللسان فاخرجه على سبيل الامر
المقتضي لوجوبه مزيدا للتقرير انتهى قيل وفيه من التكليف ما لا يخفى لم من التعسف
في حق الصحابي فانه جعل العدول عن معرفة حقيقة النجاة بالنسبة اليه
اولى فالاولى ان تقدير السوال ما سبب النجاة على تقدير المضاف بقرينة الجواب
وقيل معنى ما النجاة ما الخلاص من الافات حتى احترز به وعليهما فالمطابقة
حاصلة والله اعلم قوله وليسعك بيتك امر للبيت وفي الحقيقة امر
لصاحبه اي اشتغل بما هو سبب للزوم البيت وهو طاعة الله تعالى والاعتزال
عن الاغيار ولا تضجر من الجلوس فيه بل تراه من الغنيمة لانه سبب الخلاص من الشر